قيمة العمل بين بناة الأوطان ودعاة الهدم

25 من ربيع أول 1436 هـ - 16 من يناير 2015م

أولًا العناصر :

1- مفهوم العمل وقيمته في الإسلام .

2- إتقان العمل وسيلة لإصلاح المجتمع وتقدمه الحضاري .

3- دعوة القرآن الكريم إلى العمل .

4- مراعاة الحقوق والواجبات تقيم التوازن في حياة المسلم .

5- العمل رسالة .

ثانيًا : الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم :

1- قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[الجمعة : 9 ، 10].

2- وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك : 15] .

3- وقال تعالى:{ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}[المزمل:20].

4- وقال تعالى : { (وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }[القصص: 77].

5- وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: 97].

6- قال تعالى : {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[التوبة : 105].

الأدلة من السـنة :

1- عن المقدام (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ " (أخرجه البخاري) .

2- وعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من أمسى كالاً من عمل يديه أمسى مغفورا له).[المعجم الأوسط].

3- وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):" إِنْ قَامَتْ السّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها"(الأدب المفرد) .

4- وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «إِنّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ » وفي رواية : (إن الله تعالى يُحب من العامل إذا عمل العمل أن يُحسن)[رواه البيهقي في الشعب].

5- وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رضي الله عنه) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: اللَّهُمّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ (تفسير ابن كثير).

6-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ(رضي الله عنهما) قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ أَطْيَبِ الْكَسْبِ، فَقَالَ: «عَمَلُ الرّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ» [أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير].

7- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ ، أَوْ إِنْسَانٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ ". (متفق عليه).

ثالثا: الموضـــــوع:

لقد نظر الإسلام إلى العمل نظرة توقير وتمجيد ، فرفع قدر العمل وقيمته وجعله سبيلا للرقي والتقدم، وجعله عبادة يثاب عليها ،وأصبح الكسلُ وترْكُ العمل نقصًا في حق الإنسان ، فقد حث القرآن الكريم من خلال آياته على السعي على المعاش و العمل، وجاء الأمرُ بالانتشار في الأرض طلبًا للرزق الحلال بعد الأمر بالصلاة يقول الله تعالى : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[الجمعة :10]، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رضي الله عنه) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: اللَّهُمّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك: 15] .

وقد وردت في القرآن الكريم نحو ثلاثمائة وستين آية تحدثت عن العمل، كما أن السنة النبوية المطهرة زاخرةٌ بنصوص الجدِّ والاجتهاد والحثِّ على العمل والبناء ، و ترك الخمول والكسل، وبينت أن العمل سبيل لحفظ ماء الوجه والرفعة والعزة، فالرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: " لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه"، وكان سفيانُ الثوريّ (رحمه الله) يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

إنّ الحياة مزيج من الكفاح والتعب والعمل فلا مكان فيها للخاملين والمتخلفين عن ركب الحضارة الذين لا يبذلون من الجهد إلا القليل ثم ينتظرون أن تمنحهم الحياة نعيمها, وإذا أردنا الوصول إلى ذلك المستوى فلابد أن نبذل جهدًا مفيدًا من أجل الوصول إلى غاية هادفة .

ومن يسعى على كسب معاشه ورزق أولاده من حلال فهو في درجة الشهيد أوالمرابط في سبيل الله، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ!! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَفِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ"[المعجم الكبير للطبراني].

ومن القِيَم الخُلقيَّة المؤثرة في مجال العمل والإنتاج إتقان العمل ، ذلك أنَّ الإسلام يَحُضُّ على إحسان العمل وزِيادة الإنتاج والاجتهاد ، ويعدُّ ذلك أمانة ومسؤوليَّة في عنق العامل أو الموظف، فليس المطلوب في الإسلام القيام بالعمل فحسب ، بل لا بُدَّ من الإخلاص والإتقان والإجادة فيه وأدائه بكل أمانة؛ فذلك سبب للوصول إلى محبَّة الله تعالى ، ومن أحبه الله هداه واجتباه، وحفظه ووقاه وأسعده في الدنيا والآخرة يقول النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) –: ((إنَّ الله يحبُّ إذا عمِل أحدُكم عملاً أنْ يُتقِنه)) (رواه البهقي) .

وبالعمل المتقن نتبوأ الصدارة بين الأمم، والله سبحانه وتعالى يحب اليد التي تعمل وتجدّ لتقدم الخير لنفسها ودينها ووطنها، وتقدم الأمة في الصناعات المختلفة وريادتها في الأعمال المبتكرة يحقق لها الحصانة من الأعداء المتربصين بها ، والطامعين في ثرواتها وخيراتها، والناظر في آيات القرآن الكريم، وفي أحاديث رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم)، يرى العناية الكبيرة بكل ما يصلح حياة الإنسان في دينه ودنياه ويصلح حياته ومماته .

والنجاح و الإصلاح في الدنيا مرتبط بالعمل، فارتباط السعادة و الفوز بالعمل الصالح ليس مقصورًا على الآخرة وحدها ، فلا يخيب سعي ساع ، ولا جهد مجتهد ، يقول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) [الكهف: 30] ، فمن عمل أُجر ، ومن قعد حُرم.

والإنسان هو أساس التنمية والتقدم والازدهار بإتقان العمل، فهو صانع التغيير والتطوير بإذن الله تعالى، فلا تتحقق تنمية أو ازدهار إلا من خلال إنسان مبدع متقن فاعل منظَّم ، ولا يتحقق نمو ورخاء إلا عبر مجتمع ناهض، والأوطان لن تتجاوز تخلفها إلا إذا استثمر أبناء الوطن قدراتهم

في الإبداع والعمل والبناء ، فلا بد من تعزيز إرادة العمل ببذل أقصى الطاقة والقدرة من أجل بناء الوطن، وصناعة المستقبل الأفضل والعيش الرغيد .

وقد حثَّ الإسلام على الاحتراف والعمل والإنتاج ، ورغَّب فيه وشجّع عليه ، وصغَّر مِن شأن مَن يتهاون به، أو يحتقره ، ومما يدل على ذلك أن القرآن الكريم دعا إلى الصناعات التي هي من مقومات الحياة كصناعة الحديد وما فيها من فوائد في الحياة ، قال الله تعالى : {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ }[الحديد: 25]، فمن الحديد نصنع الدروع وهي مهنة داوود (عليه السلام) قال تعالى: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ}[سبأ:10 ، 11]، ومن الصناعات التي لا يستغني عنها الإنسان صناعة الملابس والكساء: {وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}[النحل: 80] ، وقال تعالى في صناعة الكساء : {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ }، وقال سبحانه في صناعة الجلود : {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ}[النحل: 80].

وقال في حق نبي الله نوح (عليه السلام) في صناعة السفينة: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}[المؤمنون: 27] ، وقال تعالى في البناء السكني: {وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا}[الأعراف: 74].

وقد حث الإسلام المسلم على أن يكون في حياته عاملا معطاء ومعمرًا في الأرض حتى يدركه الموت أو تأتيه الساعة قال (صلى الله عليه وسلم) : " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"[مسند أحمد].

وقد كان النبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) يعمل بنفسه، ويقوم على خدمة أهله ، قالت عائشة (رضي الله عنها): "كان رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) يَخصِفُ نعله، ويَخيط ثوبَه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدُكم في بيته"[أخرجه أحمد والترمذي].

فالإسلام لم يدعُ إلى العمل ، أي عمل فحسب ، وإنما يطلب الإجادة والإتقان ، وذلك مع ضرورة مراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، فإنه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان حارساً يحرسه ، أو مراقباً يراقبه ، وحتى لو فعلنا ذلك ، فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه ، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه ، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسانٍ ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير ، لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم ، وفي حديث جبريل الطويل حين سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإحسان قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك " [متفق عليه].

وللتأكيد على أهمية العمل دعانا الإسلام إلى أن نعمل الى آخر لحظة من حياتنا حتى لو لم ندرك ثمرة هذا العمل ، وما ذلك إلا لبيان قيمة العمل وأهمية الإنتاج للأفراد والأمم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إِنْ قَامَتْ السّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها " [الأدب المفرد] .

فإتقان العمل وإحسان أدائه من الواجبات الشرعية التي دعا إليها الإسلام ، فعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إِنّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ "(رواه البيهقي في الشعب).

ومن القِيَم التي ينبغي الالتِزام بها في العمل أو المهنة الحرصُ على أداء الواجبات قبلَ المطالَبة بالحقوق، فهذا ما ينبغي أنْ يكون عليه خُلُقُ المسلم ، سواء أكان عاملاً أم تاجرًا أم موظفًا أم زارعًا ، أم طبيبًا أم مهندسًا أم سائقًا فيؤدي ما عليه من واجبات، ثم يُطالِب بعد ذلك بحقوقه ، ذلك أنَّ أداء الواجب هو في الحقيقة حقٌّ للطرف الآخر.

ولا حق بدون واجب، ولا كسب بلا تعب وجهد ،فقد ربط الإسلام بين الحقوق والواجبات وبين المكاسب والتضحيات، وقد حدد الإسلام ما ينبغي على العامل أن يتحلي به من القيم الإيمانية والأخلاقية ، ومنها الإيمان بأن العمل عبادة وطاعة لله (سبحانه وتعالى) وأن الله تعالى سوف يحاسبه يوم القيامة عن عمله قال الله تعالى : {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَيُنَبّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[التوبة: 91].

ومن هنا يتضح حرص الإسلام على السعي والاجتهاد ، شريطة أن يكون العمل في صالح البلاد والعباد، يقول الله تعالى للسيدة مريم حين جاءها المخاض وهي بجوار النخلة: {وَهُزّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}[مريم 25]، فأمرها الله بالجد وبذل الجهد أولاً ، فيجب على الإنسان ذكرًا كان أو أنثى أن يسعى وينصب ؛ ليرزقه الله من فضله ونعمه .

إن على أبناء المجتمع الواحد أن يعملوا متحدين ضد من يتهاون أو يهمل أو يفسد أو يدمر أو يخرب في بنيان مجتمعهم ، وأن يبحثوا عن الأعمال والمشروعات والحِرَف والصناعات التي تفتقد إليها بلادهم في كل مجال.

والعمل المفيد يُجزى عليه صاحبه في الدنيا والآخرة ، فيصلح الله جميع أحواله ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ...» رواه مسلم ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله – وأحسبه قال – وكالقائم لايَفتُر وكالصائم لا يُفطِر " (متفق عليه) .

فالعمل المفيد يريح النفس،ويسعد القلب ويُطيّب العيش، ويذهب الحزن والهم والقلق ؛ فالمسلم يجد فرحة ولذة بعد إتمام كل عمل صالح يعمله، وهذه السعادة لا تُباع ولا تُشترى، {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}[النحل: 97] .

ولا يستوي من يعمل صالحا ومن يعمل سيئًا أو يسيئ إلى غيره ، كما لا يستويان في الممات {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[الجاثية: 21] .

اللهم هب لنا منك عملا صالحًا يقربنا إليك ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.